



حقوق الطبع محفوظة 2011

طرابلس - لبنان

جامعة الجنان

ص. ب.: 818

هاتف: 909 447 6 - 961 +

فاكس: 900 447 6 - 961 +

e-mail: aljinan.mag@jinnan.edu.lb

jinnan@jinnan.edu.lb

website: www.jinnan.edu.lb

صَدَرَ فِي لَبْنَانَ عَنْ

دار المنى للطباعة والنشر

70/711442

تصميم وطباعة: وليد محمود شكشك

03/217643

الجنان

مجلة علمية محكمة – فصلية

تصدر عن مركز البحث العلمي في الجامعة

العدد الثاني

د عبد الوهاب صديقي

طالب باحث في اللسانيات العربية الحديثة

طانطان - المملكة المغربية

لسانيات الخطاب:

من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص دراسة في بعض مؤلفات مشروع أحمد المتوكل الوظيفي

تمهيد:

تدخل هذه الدراسة في إطار الدراسات اللسانية العربية الحديثة التي تروم قراءة التراث اللغوي والنحوي والبلاغي العربي القديم، وفق مستجدات الدرس اللساني الغربي الذي تطور مع فريديناند دوسوسير وتلامذته، لاسيما أفكار حلقة براغ ومدرسة جنيف، وسيمون ديك، ونعوم تشومسكي فيما بعد. وتعمد هذا النوع من الدراسات اللسانية العربية، إلى قراءة أفكار ونظريات اللغويين والنحويين والبلاغيين العرب القدامى بغية إماطة اللثام عنها، والاستفادة منها لخدمة ومعالجة قضايا اللغة العربية تركيبا ومعجما ودلالة وصوتا، مع الانفتاح على ما تخوله الدراسات اللسانية الغربية من أفكار ونظريات لمعالجة قضايا اللغة العربية.

وقد برزت في الإطار كتابات عربية لسانية حديثة^(١) تؤكد غنى التراث العربي، وروعته وفي هذه الدراسة سنركز على لسانيات الخطاب متبعين نفس المنهج السالف الذكر - المنهج التوفيقي بين

١- أنظر في هذا الصدد عبد السلام المسدي التفكير اللساني في الحضارة العربية ١٩٨١، الدار العربية للنشر وعبد القادر الفاسي الفهري اللسانيات واللغة العربية في جزأين، الطبعة ١٩٩٣، ٢، دار توبقال للنشر والمجمع العربي الطبعة الأولى ١٩٨٦ دار توبقال والبناء الموازي نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، ط١، دار توبقال وأحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، الطبعة الأولى ١٩٨١، دار الثقافة البيضاء. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط - سلسلة بحوث ودراسات رقم ١٩٩٣، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان الرباط ١٩٩٥، الخ وأحمد بودرع من ظواهر الأشباه والنظائر بين اللغويات العربية والدرس اللساني المعاصر الترادف حوليات الآداب والعلوم الإنسانية، الرسالة ٢٧، ٢٠٠٥.

التراث العربي اللغوي النحوي والبلاغي ومستجدات الدرس اللساني الحديث في دراسة لسانيات الخطاب في التراث اللساني العربي القديم وفي الدرس اللساني الغربي الحديث، مركزين على تجليات هذا المنهج الاثنلافي- التوفيقي عند اللساني الوظيفي أحمد المتوكل.

لقد كان السؤال الذي ظل يؤرق هذا الدراسة هو كيف تم الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص/ الخطاب؟

ويكتسي الخطاب في العصر الحالي أهمية كبرى لارتباطه بالتواصل الإنساني، وبالوسائط السمعية البصرية كالخطاب الإشهاري، والخطاب السياسي، والخطاب الحجاجي مثلا .

وكان دافع تناولنا لهذه الدراسة تكمن في جدة البحوث اللسانية فيه، بالإضافة إلى الرغبة في فهم الخطاب وأنماطه التواصلية، لجدة البحوث فيه، ويكتسي الخطاب أهمية كبرى في مشروع احمد المتوكل الوظيفي وقد أفرد له مجموعة من المؤلفات.^(١)

من لسانيات الجملة إلى لسانيات الجملة من خلال كتاب قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص لأحمد المتوكل

١-١- النحو الوظيفي وأحمد المتوكل

ارتبط النحو الوظيفي الغربي باسم الهولندي سيمون ديك، وهكذا ارتبط النحو الوظيفي العربي بأحمد المتوكل، من خلال كتاباته في معالجة كثير من قضايا اللغة العربية، وفقا للمقاربة الوظيفية التواصلية. وكثيرة هي الدراسات التي تناولت مشروع أحمد المتوكل الوظيفي بالدراسة والتحليل، غير أننا سنكتفي بإيراد بعضها فقط^(٢)

ويتميز مشروع أحمد المتوكل بتعدد جوانب تحليلاته لقضايا اللغة العربية، معجميا وتركيبيا، وتداوليا ونصيا. ولقد كان للاحكاك مع كتاباته تأثيرا عميقا، حيث تناولناه في إطار بحث لنيل الإجازة في اللغة العربية وأدائها بعنوان «فصل المقال فيما بين اللسانيات والنحو من الاتصال»، أدرجت فيه موقف أحمد المتوكل من الإشكالية (إشكالية علاقة النحو القديم باللسانيات الحديثة) ضمن المواقف الطفرية الاستمرارية^(٣). وإن كان ذلك بشكل مقتضب. إذ أن مشروعه

١- أنظر في هذا الصدد، أحمد المتوكل قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الاختلاف ودار الأمان الرباط ٢٠١٠

٢- أنظر في هذا الصدد مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة فصل خاص عن اللسانيات الوظيفية عند أحمد المتوكل ص ٢٧٠، وأنظر أيضا حافيظ اسماعيلي علوي: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، عالم الفكر ديسمبر ٢٠٠٤ ع ٣٣، وفصل خاص عن اللسانيات الوظيفية في أطروحته للدكتوراه «تجليات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية»

٣- المواقف الطفرية: اللسانيات المنخرطة دفعة واحدة في إطار ما تقترحه النظريات اللسانية المعاصرة عن نماذج لسانية بجمعي حيثياتها المنهجية والتقنية وبكل أبعادها العلمية وحدودها التطبيقية، اللسانيات العربية الحديثة، مصطفى غلفان ص ٣٨.

- المواقف الاستمرارية: تحاول إذابة الفوارق بين الخطاب اللساني العربي ونظيره العام بكيفية تدريجية انطلاقا من رصد شامل ودقيق لمظاهر التمايز بين الخطابين شكلا ومضمونا «ص ٤٤

استفاد مما جاءت به تحليلات «لسانيات التراث» من أفكار ونظريات ونركز هنا على فكرة الاستلزام التخاطبي، التي جاء بها السكاكي (المتوكل ١٩٨١)؛ محاولا استثمارها مقوما إياها يقول (المتوكل ١٩٨١): «سنخصص القسم الثالث لفحص اقتراحات السكاكي موازنين بينه وبين اقتراحات الفلاسفة واللغويين المحدثين قصد تقويمها والوقوف عند إمكانات استثمارها»^(١). لا يقف أحمد المتوكل عند هذا الحد بل يعتبر اقتراحات السكاكي جدية ومهمة، بل وتعاذل اقتراحات اللسانيين الوظيفيين المعاصرين كغرايس وسورل وغيرهم، وتمتاز بدقتها أولا وقدرتها التنبؤية ثانيا.

ولقد كان هدف مشروع أحمد المتوكل الوظيفي هو عقد حوار بين الفكر اللغوي القديم والنحو الوظيفي الحديث مما سيمكن من :

أ- إغناء النحو الوظيفي بتحليلات ومفاهيم يستلزمها وصف الوظائف الخمس في اللغة العربية خاصة دون أن يمس افتراض هذه التحليلات، والمفاهيم بالمبادئ المنهجية المعتمدة في النحو الوظيفي ولا بنية النحو المقترح.

ب- تقويم مجموعة من الأوصاف المقترحة في النحو العربي أو البلاغي أو وظيفة البديل التابع بصفة أعم وظواهر التخصيص والحصر والعناية والتوكيد وغيرها^(٢).

وغني عن البيان أن غاية مشروع أحمد المتوكل هو استثمار ما يزخر به الفكر اللغوي العربي من نظريات، وأفكار مهمة لتطوير اللسانيات العربية، مع الانفتاح على مستجدات المقاربة، الوظيفية الحديثة.

ويأتي تبني أحمد المتوكل لنظرية النحو الوظيفي، واتخاذها إطارا منهجيا لمعالجة قضايا اللغة العربية، لأنها النظرية التداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة ولمقتضيات «النمذجة» من جهة أخرى، كما تتميز المقاربة الوظيفية أيضا بنوعية المصادر فهي محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية النحو العلاقي، Relationnel grammair، نحو الأحوال، case grammair، الوظيفية fonctionnalisme، ونظريات فلسفية نظرية الأفعال اللغوية speech acts theory خاصة التي أثبتت قيمتها في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني الحديث^(٣).

ومن هنا فإن النحو الوظيفي، يستجيب لمجموعة من الشروط المنهجية في التنظير بالإضافة

١- المتوكل: اقتراحات من الفكر العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، البحث اللساني والسميائي منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ١٩٨١، ص ١٩

٢- أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية ط ١، ١٩٨٥، دار الثقافة، ص ١٠

٣- نفسه ص ٩

إلى مقتضيات النمذجة وآلياتها ومفاهيمها الإجرائية مما يجعل مشروع أحمد المتوكل «مشروعاً معتداً به ليس بالنسبة إلى اللسانيات الوظيفية العربية فقط، بل إلى النظريات اللسانية الوظيفية بوجه عام»^(١).

إن نظرية النحو الوظيفي نظرية تسير التطورات اللغوية فهي لم تبق ثابتة بل تعرضت لعدة تغييرات فديك (١٩٧٨) يختلف عن (ديك ١٩٨٩)، وبحسب أحمد المتوكل يختلف الأول عن الثاني أولاً: أصبح الجهاز الوصف باعتباره نموذجاً لمستعملي اللغة الطبيعية جهازاً مركباً متعدد القوالب: القالب المعرفي القالب الإدراكي القالب النحوي، القالب المنطقي، القالب الاجتماعي وهي التي تضطلع برصد الملكات^(٢).

ثانياً انتقل التمثيل التحتي للعبارات من بنية بسيطة إلى بنية متعددة الطبقات تتضمن حملاً وقضية وجملة، على اعتبار أن طبقة الجملة تعلو طبقة القضية وأن طبقة القضية تعلو الحمل^(٣).

نموذج مستعمل اللغة الطبيعية	
قالب معرفي	قالب منطقي
قالب نحوي	
قالب إدراكي	قالب اجتماعي
قالب شعري	

هذا بالإضافة إلى سعي أحمد المتوكل إلى تطوير النحو الوظيفي باقتراحاته كإفراجه إضافة وظيفة المنادى إلى الوظائف التداولية الأربع: البؤرة والمحور والمبتدأ أو الذيل، يقول (المتوكل ١٩٨٥) في هذا الصدد: «ونرى أن الوارد أن تضاف إلى الوظائف الأربع المقترحة، في إطار النحو الوظيفي، وظيفة خامسة وظيفية المنادى»^(٤).

واقترح المتوكل أيضاً بصدد وظيفة البؤرة أن يميز بين «بؤرة جديد» و«بؤرة مقابلة، ومن حيث تنوعية البؤرة المكون، وبؤرة الحمل من حيث مجال التبئير»^(٥).

إن مشروع أحمد المتوكل الوظيفي، مشروع قائم بذاته يسير التطورات والمستجدات، ويضيف اقتراحات تغني قضايا اللغة العربية جملة ونصاً، وبذلك تحقق هدف النظرية الوظيفية في تجاوز حدود الجملة إلى الخطاب، على اعتبار أن مستعملي اللغة الطبيعية لا يتواصلون بقطع جمالية بل بخطابات متكاملة، ومنه فالنحو الوظيفي إذا أراد أن يظل منسجماً مع مبادئه ومزاعمه مضطر إلى وصف قدرة مستعملي الطبيعة باعتبارها قدرة خطابية.

١- حافظ اسماعيلي علوي، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، عالم الفكر، ع ٣٢، ٢٠٠٤، ص ١٠

٢- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية، ص ١٢

٣- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب، ص ٣٩-٣٨

٤- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية، ص ١٦٠

٥- أحمد المتوكل، نفسه ص ١٧

وهذا ما سنشير إليه لاحقاً بصدد دراستنا لكتاب (المتوكل ٢٠٠١).

مما يجعلنا لا نبالغ إن قلنا مشروع أحمد المتوكل ومن خلال مؤلفاته، يعكس روحاً علمية تقوم على المناقشة والنقد البناء، والأخذ بأورد الافتراضات والاقتراحات، على حد تعبير مصطفى غلفان^(١).

فكيف انتقل النحو الوظيفي من نحو الجملة إلى نحو النص، من خلال كتاب أحمد المتوكل قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص؟

١-٢- النحو الوظيفي المتوكلي، بنية الخطاب من الجملة إلى النص

تمهيد:

يحتل النحو الوظيفي مكانة هامة، في مقارنة قضايا اللغات الطبيعية في مستويات متعددة تركيبية ومعجمية، وتداولية، ونصية أو بلغة أخرى تحليل قضايا الجملة والخطاب.

فمنذ ديك ١٩٩٨ إلا والنظرية الوظيفية تسعى إلى تجاوز قضايا الجملة إلى قضايا الخطاب حتى تصبح نظرية متكاملة صالحة لمعالجة قضايا الجملة، والنص/ الخطاب أي ما أسماه أحمد المتوكل «باللسانيات الحق»^(٢)؛ لسانيات تفترض التماثل بين بنية الجملة، وبنية الخطاب.

وتكتسي دراسة الخطاب وظيفياً، أهمية كبرى في تحليل الخطاب التواصلية وبمختلف أنماطه لاسيما، والتطور التكنولوجي والحاسوبي المعاصر.

من هذه الزاوية يكتسي النحو الوظيفي أهميته في كونه يحاول إيجاد نحو متكامل لدراسة الجملة والخطاب، ويأتي «كتاب أحمد المتوكل ٢٠٠١، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للتأسيس وترسيخ ما دعا إليه (ديك ١٩٩٨) من أنه إذا أرادت نظرية النحو الوظيفي أن ترقى إلى مستوى معايير الكفاية التي اشترطتها على نفسها، تحتم عليها على المدى البعيد أن تضع نحواً وظيفياً للخطاب»^(٣)

على اعتبار أن ثمة تشاكلاً وتماثلاً، بين بنية الجملة وبينية النص، وفي هذا الصدد، يؤكد أحمد المتوكل ٢٠٠١ أن غاية النحو الوظيفي هي معرفة مدى إمكان استكمال وضع نحو وظيفي موحد، يكفل وصف وتفسير، ظواهر اللغة العربية (من ضمن اللغات الطبيعية) العملية منها والنصية، مستخدماً نفس المبادئ ونفس الأوليات، نحو وظيفي يمد الجسور بين الجملة والنص، مستخدماً نفس المبادئ، ونفس الجملة ولسانيات النص، الذي يكمن وراء الفصل بين اللسانيات الحق.

١- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص ٢٧٦

٢- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب، ص ١٠

٣- نقلاً عن حافظ اسماعيلي علوي، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، عالم الفكر م ٢٠٠٤، ٣٣، ص ٢٠٨

من هذا المنطلق يمكن القول بأن مشروع (المتوكل ٢٠٠١) يرمي تجاوز حدود الجملة إلى ما هو أعمق الخطاب. وبذلك يكون قد أسس لنحوي في بتحقيق هدفين أساسيين:

- أولاً: استكشاف ما يوحد بين بنية الكلمة وبنية المركب، وبنية الجملة وبنية النص.
- ثانياً: الاختصار على نفس المبادئ والإواليات في وصف بنية كل من هذه المستويات الأربعة^(١).

هذا بالإضافة إلى التركيز على الوظيفة التواصلية والإفهامية، والإقناعية للخطاب، وقليلة هي الدراسات التي تناولت الخطاب عند أحمد المتوكل لجدة الخطاب، وتعدد مشاربه ومضانه الأدبية والسيمائية والشعرية واللسانية وغيرها، إذا استثنينا ما أشار إليه حافظ إسماعيلي علوي في بحث قيم بعنوان «قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية»^(٢)، وسماه بالتحليلات النصية، وما أشار إليه نبيل موميد وعنوانه بـ «حد الخطاب بين النسقية والوظيفية»^(٣)، يقارن فيه بين الخطاب في المقاربة النسقية التواصلية الاقتصادية عند الفرنسي دومنيك ما نكوكو، والخطاب في المقاربة الوظيفية مع أحمد المتوكل.

١-٢-١ نحو الجملة ونحو النص من الاختلاف إلى الائتلاف:

يتبنى أحمد المتوكل في مشروعه الوظيفي، الرؤية الائتلافية التماثلية التي ترى أن آليات معالجة قضايا الجملة صالحة أن تعالج قضايا الخطاب، على اعتبار أن هناك تماثلاً بين بنية الجملة وبنية الخطاب، وأن ما يمكن أن يرصد للأولى (الجملة) يمكن أن يكيف فيرصد للثانية (الخطاب).

١-٢-٢ مفهوم الخطاب عند أحمد المتوكل:

يعتبر أحمد المتوكل الخطاب كل تجاوز للجملة كمجرد سلسلة لفظية تحكمها آليات الاتساق الشكلية إلى كل تعبير لغوي أيا كان حجمه أنتج في مقام معين قصد القيام بغرض تواصلية معين. ومعنى هذا الكلام:

- أولاً : الخطاب تعبير قد يكون شفويا أو مكتوبا.
 - ثانياً: الخطاب إنتاج مقامي: أي ينتج في مقام معين وسياق يحيط به.
 - ثالثاً: غاية وغرض الخطاب هو تحقيق التواصل بين ذاتين على الأقل (متكلم ومخاطب).
- وغنى عن البيان أن نظرية النحو الوظيفي، تعتبر الوظيفة الأساس للغة هي إتاحة التواصل بين

١- أحمد المتوكل، بنية الخطاب، ص ١٠

٢- حافظ إسماعيلي علوي، قضايا اللغة العربية في اللسانيات العربية، عالم الفكر، م ٣٢، ديسمبر ٢٠٠٤

٣- نبيل موميد، حد الخطاب بين النسقية والوظيفية، فكر ونقد، ع ٨٩-٩٠ مايو يونيو ٢٠٠٧

مستعملها فإذا كان تشومسكي يركز على مفهومي «القدرة» و «الإنجاز» فإن الوظيفيين يركزون على مفهوم «القدرة التواصلية» للغات الطبيعية .

وكل تواصل لغوي بين ذاتين ، لابد له من متكلم /مرسل، يرسل رسالة Message للمرسل إليه /المخاطب، لتحقيق غرض تواصل معين، ولضمان تواصل ناجح لابد للمتكلم أن يراعي مخزون المخاطب المعلوماتي.

ويتضمن مخزون المتكلم والمخاطب بحسب (المتوكل ٢٠٠١) المعارف الآتية^(١):

• أولاً : معارف مقامية، مشتقة من عناصر المقام الذي تتم فيه عملية التواصل، على اعتبار أن لكل مقام مقال، ولكل مقال مقام، فمقام الأستاذية ليس هو مقام الفلاح... وهكذا (لا نغني بذلك المقام الاجتماعي وإنما المقام بالمفهوم التداولي)، ومقال السياسي والسياسة، ليس هو مقال الاقتصادي وغيره.

• ثانياً : معارف عامة تتعلق بمدرجات المتخاطبين، على اعتبار أن لكل فرد قدرات إدراكية حول العالم، فمعارف الأمي عن عالم التكنولوجيا قليلة، عكس الإعلامي أو المعلوماتي...

معارف سياقية: يوفرها للمتخاطبين ما تم إيرادها في قطعة خطابية سابقة، وهذه المعارف يشترطها سياق التخاطب بين المتخاطبين.

١-٢-٣- أنماط الخطاب^(٢)؛

وعلى اعتبار أن لكل خطاب مستلزماته المعرفية عامة وسياقية ومقامية، يمكن تصنيف الخطاب تبعاً للمعايير الآتية:

أ - غرض المخاطب إلى: خطاب سردي، حجاجي، وصفي، تعليمي، ترفيهي.

ب - نوع المشاركة إلى خطاب ثنائي، خطاب جماعي، فردي (مونولوج).

ج - طريقة المشاركة في الخطاب إلى مباشرة أي التباشر بين متخاطبين في الخطاب أو غير مباشرة كأن يكون الخطاب مكتوباً كالجريدة والكتاب، أو شبه مباشرة خطاب هاتفي، خطاب تلفزي أو إذاعي...

د - نوع القناة إلى قناة شفوية مباشرة، أو قناة مكتوبة غير مباشرة.

هـ - وجهه إلى خطاب موضوعي خالياً من تدخل ذات المتكلم، وخطاب ذاتي تتدخل فيه الذات

١- أحمد المتوكل ، بنية الخطاب ، ص ١٩

٢- نفسه ، ص ٢٠ وما بعدها

المنتجة للخطاب.

هكذا صنف أحمد المتوكل الخطاب إلى أنواع متعددة، تبعا لمعايير متعددة، مما يدل على تعدد الأنماط الخطابية، و معايير تصنيفها.

٢-٣-١ نحو الجملة grammaire de phrase :

لقد كان النحو الوظيفي، منذ بدايته نحو خطاب، وإن كان البحث الوظيفي انصب بداية لمعالجة قضايا الجملة، وظواهرها ونمثل هنا بالمتوكل ١٩٨١، ١٩٨٥، ١٩٩٣، ١٩٩٥، ١٩٩٦.

وفي هذه الكتابات تناولت كتب المتوكل قضايا الجملة بتحليلات معجمية، تركيبية وتداولية، اعتمادا على نموذج (ديك ١٩٧٨).

ولقد كان موضوع نظرية النحو الوظيفي منذ (ديك ١٩٧٨) هو وصف القدرة التواصلية التي تمكن مستعملي اللغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم.

• نموذج مستعملي اللغة الطبيعية ونحو القوالب:

إذا كان هم نظرية النحو الوظيفي هو وصف «القدرة التواصلية، جاءت أبحاث (سيمون ديك ١٩٨٩) لوصف هذه القدرة لارتباطها بالملكات الخمس^(١) وهي :

١- الملكة اللغوية: وهي الملكة التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج وتأويل عبارات لغوية معقدة ومتباينة في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة.

٢- الملكة المعرفية: وهي ملكة تتيح لمستعمل اللغة الطبيعية تكوين مخزون معرفي منظم، والاحتفاظ به وتوظيفه حين الحاجة، وهي ملكة تمكنه كذلك من اشتقاق معارف من عبارات لغوية واختزالها ثم استعمالها في تأويل عبارات لغوية أخرى.

٣- الملكة المنطقية: وهي ملكة التي يتسنى لمستعمل اللغة الطبيعية، بواسطتها أن يشتق معارف إضافية من معارف أخرى، مستخدما قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي.

٤- الملكة الإدراكية: وهي ملكة تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من توظيف المعارف التي يستخلصها من إدراك لمحيطه في إنتاج وفهم العبارات اللغوية.

٥- الملكة الاجتماعية: فهي مجموعة من القواعد والمبادئ الاجتماعية التي تمكن مستعملي اللغة الطبيعية من استعمال اللغة المناسبة بالنظر إلى وضع مخاطبه وإلى الموقف التواصلية وإلى الغرض المروم تحقيقه. وانطلاقا من هذا التصور للقدرة التواصلية باعتبارها مشكلة ومكونة من الملكات المشار إليها بني التصور «نموذج لمستعملي اللغة الطبيعية: باعتباره مجموعة

من القوالب الخمس : القالب النحوي، القالب المنطقي والقالب الإدراكي، القالب المعرفي والقالب الاجتماعي.

واقترح (المتوكل ١٩٩٥) إضافة «قالب شعري» لفهم الخطاب الشعري والمقصود به الخطاب الفني الذي يستدعي التذوق الفني من المتلقي (المستمع للخطاب).

٢-٣-١ الجملة في النحو الوظيفي:

أ- الجملة البسيطة:

الجملة في النحو الوظيفي وحدة تركيبية، تتركب من مستويين:

- أولاً : مستوى دلالي تداولي وهو البنية التحتية للجملة، وتتشكل من بين قوامها: نواة ومخصص إنجازي ولاحق.

- ثانياً : مستوى صرفي-تركيبى وهو البنية المكونية للجملة وتتحكم فيها ثلاثة أنساق من القواعد وهي ما يطلق عليها قواعد التعبير، وترتبط هذه القواعد بقيود منها: قيد إسناد النبر والتنغيم الذي يستدعي قوة إنجازية أمرية أو استفهامية طلبية.

نحو: ألم يحضر الأستاذ اليوم؟

وتتحكم في ترتيب مكونات الجملة العربية في النحو الوظيفي حسب (المتوكل ١٩٩٦)^(١) مبدأين هما :

١- مبدأ الاستقرار الوظيفي: تنزع المكونات التي تحمل نفس الوظائف إلى أن تحتل نفس الموقع.

٢- مبدأ الإبراز التداولي: «تنزع المكونات الحاملة لوظائف تداولية (محور جديد) . محور معطى، بؤرة جديدة، بؤرة مقابلة إلى أن تحتل مواقع خاصة من بينها الموقع الصدر في الجملة».

نحو: الكتاب أخذ الأستاذ.

ويطرح الانتقال من البنية التحتية إلى البنية التركيبية إشكالات عالقة بحسب (المتوكل ٢٠٠١).

ب- الجملة المركبة:

يعرف (المتوكل ٢٠٠١) الجملة المركبة باعتبارها: «كل جملة كان أحد حدودها جملة أو كان أحد حدودها يتضمن جملة»^(٢).

ومعنى هذا الكلام أن الجملة البسيطة ما تضمنت حداً مثل: قام محمد، كتب الدرس. أما الجملة المركبة فهي ما كان أحد حدودها جملة: نحو قام محمد أبوه أو أخوه.

١- نفسه ص ٥٦

٢- نفسه ص ٧٢

- جاء الأستاذ الذي كتبَ كتابا في اللسانيات اليوم.

وتختلف تصورات نظرية النحو الوظيفي بصدد الجملة، فقد كان ينظر إليها مع نموذج (ديك ١٩٧٨) باعتبارها مكونة من ركنين: حمل وإنجاز، أما النموذج الحالي (ديك ١٩٨٩) (ديك ١٩٩٨) (المتوكل ١٩٩٦) (المتوكل ٢٠٠١) فالجملة مكونة من حمل مركزي، وحمل موسع، وقضية وإنجاز، كما اختلفت تصورات نظرية النحو الوظيفي أيضا بصدد مكونات الجملة الخارجية في عددها، ووظائفها:

فمن حيث مكوناتها لم تعد مقتصرة على المكونات الثلاثة، المبتدأ، الدليل، المنادى، بل أضيفت مكونات أخرى كالفواتح، والخواتم، والنواقل، أما من حيث الوظائف فقد صنعت بحسب معيار الدور الذي تقوم به كل فئة منها.

إن إعادة النظر في مكونات الجملة داخليا وخارجيا، كان بحسب (المتوكل ٢٠٠١) بمثابة مخاض انتقل فيه النحو الوظيفي من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص/الخطاب.

٢-٤- نحو الجملة، ونحو الخطاب نحو أم نحو واحد؟

٢-٤-١- مفهوم الخطاب :

جاء في لسان العرب المجلد الخامس في مادة خطب: «الخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال... والخطابة والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا والخطبة كلام الخطيب...»^(١)

والخطاب في هذا المعجم كلام بين ذاتين لتحقيق التواصل والإقناع والإفهام ويعرفه (المتوكل ٢٠٠١) «الخطاب إنتاج لغوي يكون في مجموعه وحدة تواصلية، وسبق أن أشرنا أن الخطاب عند (المتوكل ٢٠٠١) ينتج في سياق، ومقام وغرض معين.

والخطاب «إنتاج لغوي» ولا نهمنا بصده حجم الإنتاج فقد يكون جملة بسيطة، نحو :

- صليت العصر.

أو جملة معقدة نحو: جاء الأستاذ الذي زار أمريكا لإلقاء محاضرة في النحو العربي إلى القسم منشراح الصدر.

أو نصا نحو: «أثارني في ملف مجلة فكر ونقد، موضوع حول الخطاب، فاشتريت العدد، وقرأت مواضيعه بإمعان شديد، فخرجت بخلاصة: الخطاب تتداخل فيه عدد من المقاربات لمعالجته».

وقد يكون الخطاب مركبا اسميا كاسم الفعل نحو:

- هيهات!

١- لسان العرب لابن منظور، مجلد ٥، دار صادر، بيروت مادة خطب، ص ٩٧ وما بعدها

أو مركب اسمي نحو:

- السيارات!

٢-٤-٢- الخطاب والنص:

النص وحدة بنيوية تتكون من متواليات من الجمل، تربطها علاقات شكلية (آليات الانساق)، وعلاقات معنوية (آليات الانسجام)

فالنص إذن يتقيد بعدد الجمل، بحيث يصعب أن نطلق مثلاً على الجملة الآتية نحو: قام الأستاذ؛ نصاً.

أما الخطاب فهو وحدة تواصلية أنتجت في مقام وسياق معينين ولا يهمنا حجمه سواء كان نصاً أو جملة بسيطة أو جملة مركبة، بل حتى الشعار «ممنوع التدخين» أو ممنوع رمي الأزبال إذا وجدت في سياق صوب مدرسة أو قرب مستشفى؛ خطاب.

وهنا يكمن الفرق بين النص والخطاب، فالنص يتقيد بعدد الجمل، عكس الخطاب ومنه فالخطاب أعم من النص.

٢-٤-٣- النحو الوظيفي: من الجملة إلى النص:

لقد كان النحو الوظيفي منذ بدايته نحو خطاب، وإن كانت الأبحاث منحصرة في البداية حول الجملة وقضاياها، وكان التفكير في إنشاء نحو الخطاب النصي يسير في اتجاهين.

١- موقف يرى أن هناك اختلافاً بنية الجملة، وبنية الخطاب النص، بالتالي فآليات معالجة قضايا الجملة، غير صالحة لمعالجة قضايا النص، بالتالي لابد من البحث عن نحو جديد لمعالجة الخطاب (النص، ويمثل هذا الاتجاه كروان ١٩٩٧)، التي تقترح مقاربة قلبية لخصائص الجملة، وخصائص النص في قالبين مختلفين متعاقبين، قالب جملي، قالب نصي^(١).

٢- موقف يرى أن هناك تماثلاً بنية النص، وبنية الجملة، وأن آليات معالجة قضايا الجملة صالحة أن يكيف لمعالجة قضايا النص الخطاب، ويتبنى هذا الموقف (المتوكل ٢٠٠١، ١٩٩٨) ذلك ١٩٩٧، هنخفلد ١٩٩٧، وهو الموقف الذي تؤطره الأطروحة التالية نموذج بنية الجملة يمكن أن يعد جزئياً للنص ككل^(٢)، مما يدل على التماثل بين بنية الجملة وبنية الخطاب، بالتالي فنحوهما نحو واحد، لا نحوان.

١- أحمد المتوكل، بنية الخطاب، ص ٨٤

٢- نفسه ص ٨٤

خاتمة :

إن نظرية النحو الوظيفي La théorie de grammaire fonctionnel، نظرية خطاب تجاوزت قضايا الجملة صوتاً، وتركيباً إلى قضايا الخطاب، كإنتاج لغوي تواصلية مرتبط بمقام وسياق معينين، وبهذا يكون النحو الوظيفي، نحواً متكاملًا يعالج القضايا الخطابية على اعتبار أن مستعملي اللغة الطبيعية، لا يتواصلون بجمل بقدر ما يتواصلون بوحدة خطابية بالتالي يكون (المتوكل ٢٠٠١) قد أسس للسانيات «الحق»، وتلافى التمييز «الزائف»^(١) بين لسانيات الجملة ولسانيات النص (الخطاب)، وبذلك تحقق لنظرية النحو الوظيفي هدفين^(٢):

• أولاً : الانسجام الكامل مع مزاعمها ومطامحها الأساسية فتصبح فعلاً نظرية خطاب في مختلف أحجامه ومختلف أنماطه.

• ثانياً: الشمولية: أي في معالجة قضايا الجملة، وقضايا النص بأقل كلفة.

وبذلك تحقق ما دعا إليه سيمون ديك ١٩٩٨ من أن نظرية «النحو الوظيفي يجب أن ترقى لمعالجة قضايا الخطاب/ النص، وبذلك انتقل النحو الوظيفي مع أحمد المتوكل من لسانيات الجملة (المتوكل ١٩٨٥، ١٩٨٦، ١٩٩٣، ١٩٩٧، ١٩٩٥، ١٩٩٦) إلى لسانيات الخطاب (المتوكل ٢٠٠١)، (المتوكل ٢٠٠٨)، (المتوكل ٢٠١٠)»

١- نفسه ص ٢٧٨

٢- نفسه ص ٢٧٨